

آليات التحليل السيميائي في ديوان: "دم البياض" للبشير بن عبد الرحمن دراسة سيميائية تحليلية.

Mechanisms of semiotic analysis in the collectio: (Dam Elbayadh)El-Bachir Ben Abderrahmane.
Analytical semiotic study

فريدة ساعي

جامعة باتنة 1، الجزائر، farida.sai@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2024/01/26

تاريخ القبول: 2024/01/23

تاريخ الاستلام: 2023/09/01

ملخص:

يعد المنهج السيميائي من أهم المناهج النقدية التي تساعد على كشف مدلولات النص واستكناه أسرارها، فهو من أهم ركائز النص من منظور النقاد والمبدعين بوصفه المفتاح الأهم للولوج إلى فضاءاته والوقوف على حيز المعاني التي يتضمنها، ومن ثم فإن ديوان "دم البياض" للبشير بن عبد الرحمن يحتوي على العديد من المفارقات والصور الشعرية التي تخلق الدهشة والاستغراب لدى القارئ فتدفعه للبحث عن جمالياته واستكناه أسرارها وسبر أغوار نصوصه ودراستها سيميائيا. وسنحاول في بحثنا هذا دراسة المنهج السيميائي من خلال العديد من العناصر كالعنوان والغلاف والألوان وسيميائية الصورة الشعرية، في محاولة منا بيان قدرة الشاعر الجزائري على خلق وصناعة أشكال وصور جديدة للكتابة الشعرية؛ وكذا قدرة المنهج السيميائي على تحليلها. كلمات مفتاحية: السيمياء، الصورة الشعرية، البشير بن عبد الرحمن، المفارقة .

Abstract:

The semiotic approach is considered as one of the most significant critical approaches that help to reveal the meaning of the text and extract the essence of its secrets According to the critic and creative people the semiotic approach is one of the most valuable text pillars, describing it as the Major Key to enter to its universe and explore the meanings included. Thereby' Diwan (Dam Elbayadh) of El-Bachir Ben Abderrahmane holds 'within its syllables many paradoxes which create wonder and astonishment in the reader and drive him to search for its beauty and secrets, to probe its depths and to be sludied semiotically.

In this article' we will try to study the semiotic approach through many elements such as: the title, the cover' the colors and the semiotic poetic features. in an

attempt to demonstrate that the Algerian poet is capable of creating and producing new shapes and features of poetic writing and the analyzing ability of the semiotic approach.

Keywords: Semiotics; poetic image; Bachir Ben Abderrahmane; parado.

1. مقدمة:

مر النقد الأدبي بعدة أطوار خلال مسيرته وسعيه للكشف عن الظاهرة الأدبية أدى هذا إلى ظهور عدة مناهج أبرزها المناهج السياقية التي اهتمت بالسياق الخارجي للعمل الأدبي كالمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي والمنهج التاريخي، إلا أنها لم تقلح في الإلمام بالظاهرة الأدبية، ذلك أنها جعلتها حتمية لظروف خارجية خاصة بالأديب والحيثيات الخارجية وأهملت النص، فظهرت مناهج أخرى كرد فعل على هذه المناهج اهتمت به كالبنوية والموضوعاتية والسيميائية؛ وهذا الأخير (المنهج السيميائي) هو العلم الذي يدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية، أسس له عدد لا بأس به من العلماء ابتداء من الناقد اللغوي فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure إلى بيرس Charles Sanders Peirce ورولان رولاند بارث Roland Barthes ورومان جاكوبسون Roman Jakobson وغيرهم كثير.

وقد بدأت السيميائية بداية فلسفية ثم لغوية ثم اتسعت لتشمل دراسة العالم وحيثياته الخارجية، ولها عدة تسميات مختلفة كالسيميولوجية والسيميولوجيا والسيميوطيقا وعلم الدلائل وعلم الرموز وغيرها من المصطلحات المختلفة.

ومن خلال ما سبق سنحاول دراسة هذا البحث دراسة سيميائية من خلال إبراز أهم الآليات السيميائية في ديوان: "دم البياض" للبشير بن عبد الرحمن، وإخراج أهم مظاهره السيميائية، ومعرفة أهم الخطوط الرفيعة التي تحدد مشروعية المنهج السيميائي ضمن توجهاته البحثية المختلفة، محاولين الإجابة عن سؤال: ما هي أهم مظاهر وتجليات السيميائية في ديوان دم البياض للبشير بن عبد الرحمن؟.

وقبل الخوض في لب هذه المغامرة نرى أنه من الأهمية بمكان إيجاد ماهية لمفهوم السيميائية وكذا ضبط مصطلحاته لكي لا تشكل عثرة في مسار أي دارس أراد الخوض في هذا المضمار.

1. السيميائية :

تعد السيميائية من أهم المصطلحات التي استخدمت بكثرة في مجالات علمية متعددة منذ وقت مبكر، وقد ساهمت هذه الأخيرة في فتح آفاق جديدة أمام البحث العلمي بصفة عامة والفكر النقدي بصفة خاصة، وذلك بغية تنمية الحس النقدي وتوسيع دائرة اهتماماته، حتى أصبحت علما لدراسة أنساق العلامات والأدلة والرموز المختلفة، وقد أُطلق عليها العديد من المصطلحات نجد على سبيل المثال لا الحصر علم العلامات، علم الأنساق، علم الرموز، علم الدلالة، السيميوطيقا، السيميائية، الرموزية، الدلائلية، العلامية وغيرها من المصطلحات المختلفة.

وقد تعددت اتجاهاتها ومدارسها في الحقول الفكرية الغربية، حتى أصبح لنا مدرسة سيميائية خاصة بالسرد وأخرى بالتواصل وواحدة للثقافة وغيرها من المدارس المختلفة وعينت كل مدرسة بدراسة النص الأدبي كل حسب وجهة نظر وآراء نقادها وباحثيها، وأصبحت علما للدوال اللغوية وغير اللغوية تدرس العلامات والإشارات والرموز والأيقونات البصرية وغيرها؛ فهي "علم دراسة العلامات دراسة منظمة منتظمة"¹، كما أنها "علم يدرس حياة الدلائل والعلامات داخل النسق الاجتماعي"².

وقد أكد كل من بيرس ودي سوسير على أن: "السيميائية تشير إلى نظرية أنظمة العلامة في اللغة"³

فالسيميائية أو علم العلامة إذا علم يختص بدراسة العلامة وباستنتاجها ودراستها دراسة منظمة وشاملة، وقد عرفت عند الغرب كما عرفت عند العرب قديما وحديثا، وارتبطت عند العرب قديما بالسحر والطلاسم التي تعتمد أسرار الحروف والرموز والتخطيطات الدالة، لتصبح أحيانا فرعا من فروع الكيمياء وأحيانا أخرى تلتصق بعلم الدلالة وبالمنطق وعلم التفسير والبلاغة (تتمظهر غالبا في الصور الشعرية وخروقاتها) وكذا التأويل.

فالسيمياء علم عام وفلسفة للحياة، تدخل ضمنها العديد من المجالات المختلفة والمتعددة من فلسفة وبلاغة وتأويل وغيرها من المواضيع المختلفة: "حيث لا حدود لفضاءات السيميائية بصفتها علما؛ إذ تتخذ موضوعا لها كل شيء وأي شيء مهما كان"⁴، فهي علم يتسع صدره لكل مجالات العلوم والفنون المختلفة.

وسنحاول في بحثنا هذا دراسة سيميائية العنوان، والغلاف والألوان وكذا الموضوع العام للديوان، وسيميائية الصورة الشعرية من خلال العتبات النصية المختلفة للديوان.

2. بطاقة فنية للديوان:

العنوان: دم البياض

اسم الشاعر: البشير بن عبد الرحمن

دار النشر: منشورات الوطن اليوم

بلد النشر: العلةمة / سطيف .

السنة: 2018 م .

عدد الصفحات: 132 .

عدد عناوين الديوان: 76 .

3. ديوان "دم البياض" للبشير بن عبد الرحمان: دراسة سيميائية:

3. 1 . سيميائية العنوان :

العنوان هو أول ما يصادف القارئ ويصادفه عند قراءته للعمل الأدبي، فقد أصبح بمثابة العلامة الدالة على شيء مجهول نقوم بالتعريف به أو الإشارة عليه، تكمن أهميته في كونه يقدم للقارئ فكرة مبدئية أو انطبعا أوليا عن الموضوع الذي يجسده النص، ومن ثم فهو يسهم في تكوين مجموعة من التوقعات لدى القارئ، يتكون العنوان من كلمتين: الدم والبياض وهما ثنائيتان ضديتان فدم البياض يحيل إلى ثنائية الألم والأمل، فالدم غالبا يحيل إلى الجرح والوجع، لذا جعل له اللون الأحمر أما الأبيض ففيه وعد بالحياة لذا فهو يجسد الأمل، جمع بينهما الشاعر ليبين مدى الألم الذي يعيشه والحسرات التي عانى منها وهذا يظهر في اللون

الأحمر لون الدماء في حين يتقرب زوال هذا الليل المعتم القاتم بتقرب شديد ليزول ويحل محله الصباح لون الضياء والبياض والتفاؤل، فكلمة دم أتت بالبند العريض وباللون الأحمر وكما هو معروف فاللون الأحمر يحمل دلالة العنفوان وهنا توافق بين كلمة الدم واللون الأحمر، كما يمكن أن تدل على الآلام التي تعيشها البلدان العربية وتتخبط في حسراتها ودمائها خاصة الجزائر و فلسطين، أما كلمة البياض فهي تدل على التفاؤل والأمل والحياة والوطن خاصة ذلك الوطن الذي ينزف ويحترق في صمت تلك الزهرة البريئة التي تتهاطل عليها الآلام والحسرات والدماء.

وفيه إحالة إلى الوطن الجزائري وما يعيشه من تقلبات ومن طموح شعبه وآلامه، فتجاذبها من خلال ثنائية الدم/البياض فهو تضاد ضمني فالدم هنا يشوه نقاء البياض، فالوردة رمز للسلام والصدق اللذان هما مطمح كل الشعوب، لكن هذه الأوطان لا تخلف سوى الدماء نتيجة الحروب.

3. 2. سيميائية الغلاف:

غلاف الديوان أو واجهته أو الفضاء الغالب على الصورة هو اللون الأسود الذي فيه الكثير من الترقب والانتظار، فالناس وكل البشر يتربعون الليل ليزول حتى يأتي الصباح والنهار، وهنا أقرأ أن السواد قد يكون لمحنة أو حتى بلية عظيمة طالما امتزج فيها الدم، ولون اسم الشاعر باللون الأبيض كأنه سيوجهنا لأمل بعد نكسة ونور بعد ظلمة حالكة ولكن الاسم دون بالحجم الصغير دلالة على أنه ليس شخصية عظيمة ولا بطل إنما هو جزء من هذا الحيز الذي يعيش فيه، ويرتبط أيضا الغلاف بالقضية الفلسطينية والدماء المحيطة بالغلاف هي دمائهم وآلامهم وأحزانهم التي انصهرت مع آلام وأحزان الشاعر، فالشاعر ينتمي إلى بوسعادة لكن يعتبر فلسطين وطنه، كما دونت أيضا كلمة الدماء بالبند العريض باللون الأحمر وهنا توافق بين كلمة الدم واللون الأحمر، إلا في تلك الخطوط الدموية التي تشوب الزهرة والتي خلقت الدهشة لدى القارئ؛ وكأن الزهرة هنا شيء عظيم يتخبط بين أسي وحسرة تشوبها الأحزان كما تشوبها الدماء، أما كلمة البياض وردت أسفل كلمة الدم ولم

تكن معها في نفس المستوى وكأن الأحزان هنا والهموم والمحن والمصائب علت على الحياة وعلى الوطن، فكان الوطن {الجزائر} ساقطا منهزما ضعيفا خائرا والدم والبلايا تعتريه.

أما كلمة شعر فكانت صغيرة الحجم بلون أبيض يعني من نفس جنس الوطن، وكأنه يقول بأن شعري من أجل وطني ومن رحمه ويخدمه، والغلاف فيه نوع من الأمل خاصة ذلك الخط الذي يبدو وكأنه إمضاء لكن المهم أنه خط في صعود يعني شعري يأمل صعود منحى الأمل لهذا الوطن، فهو لا يتحدث عن وطن واحد ولا موضوع موحد إنما تحدث عن الكثير من المواضيع التي شغلت باله وتفكيره، فالقارئ يلح اللون الأبيض والأحمر دون اللون الأبيض وهو لون العلم الوطني والدماء الموجودة في الوردة يقصد بها أيضا الدول المجاورة التي عوض أن تكون صديقة زادت من محنة البلاد وآلمتها أكثر.

إن بوسعادة الآن داري

جسدي هاهنا باسق

وهناك بها سعف وارف من مياه اليقين⁵.

3. 3. سيميائية الألوان:

الشيء الثاني الذي يجذب القارئ بعد العنوان والغلاف هي الألوان، وهو ما يجعلها من العناصر الأساسية في تشكيل العمل الإبداعي، فاسم الشاعر وكلمة البياض باللون الأبيض وإذا قمنا بالبحث عن دلالاته سنجد أنه من الألوان الأساسية كما ورد في كتاب "اللغة واللون" لأحمد مختار بالإضافة إلى أنه يدل على الإشراق والإضاءة فلقد استخدمه العرب في مقام المدح بالكرم ونقاء العرض واستخدم بياض الوجه للإشارة إلى نقائه وصفائه وإشراقه⁶ كما أنه يدل على السلام والطمأنينة وهذا ما لا يتفق مع مضمون الديوان فإذا ما قمنا بتتبع مضامين الديوان وجدناه يوحي للحزن والحسرات والآلام التي تعاني منها البلدان العربية وخاصة الجزائر و فلسطين بلادنا الأبية.

اللون الأحمر: اللون الأحمر من أكثر الألوان تضاربا فهو لون البهجة والحزن لون العنف والمرح ومن أكثر سمات هذا اللون ارتباطه بالدم وهو لون مخيف نفسيا ومقدس دينيا/

فقد نفر العرب منه لاعتقادهم أنه لون الشؤم، والحمرة بالبشرة هي صفة اليهود وبذلك أخذ اللون الأحمر دلالة السوداوية، ويوحي أيضا إلى الدفاع عن الوطن والتضحية بالنفس والنفيس من أجل حماية الوطن والدفاع عنه وهذا ما يعكسه الديوان فليس هنالك لعبة سيميائية تخص اللون الأحمر ودلالته في الديوان.

أما اللون الأسود نجده ضد الجمال ولون للتشاؤم أيضا وكل ما هو سيء، يرتبط بالجانب الإيجابي حيث يعبر عن السلطة والأناقة كما يعبر عن السلبية أيضا فهو يترافق مع الشر والغموض والموت، ثم إن الديوان مرتبط بالضدية من أول الغلاف لآخر الكتاب، فالسواد في الديوان يرتبط بالمحنة طالما امتزج فيها لون الدماء كما نجد فيه نوعا من الأمل والتقرب الشديد لزوال هذه المحن.

3. 4. سيميائية الموضوع:

ديوان "دم البياض" للبشير بن عبد الرحمان يعد اتجاها جديدا في الكتابة الشعرية الجزائرية فالديوان قصيدة نثر يضم مجموعة من المواضيع المتنوعة؛ قضايا عن الإنسان وقضايا وجودية وعن القضية الفلسطينية وعن الآلام التي تعاني منها البلدان العربية وعن بلده الجزائر وأبرز القضايا الراهنة له كالفاسبوك مثلا، والقضايا السياسية كظلم الحكومة وجورها {النظام الفاسد} فمنذ قرابة عامين أو ثلاثة خرج الجزائريون في حراك سلمي، بسبب الأزمات السياسية والجوع والفقر والتجارب المريرة التي مرت بهم وكذا الأنظمة الفاسدة التي تدير بشكل فاسد ديمقراطية مغشوشة ومنظومة من المؤسسات المعتلة يهيمن عليها العقل الأمني، كما أن مواضيعه مختلفة ومتنوعة اجتماعية {التعليم والفقر والجوع...} دينية وأدبية وغيرها، يتحدث فيها عن: البلاغة والمجاز وعن أهم قضية في الديوان وهي وردة الرمال أو ما يسمى بصحراء الجزائر، وكذا القضية الفلسطينية وعن أبرز مقامات الشعر: كمحمود درويش وبدر شاكر السياب وأدونيس والشاعر الجزائري الأخضر بركة الذي اقتطف جزءا من شعره في ديوانه وتمنى لو كان صاحب المقولة، والشاعر السوري قحطان بيرقدار "وهو أديب وشاعر سوري عضو اتحاد الكتاب العرب، صدر له العديد من المجموعات الشعرية

والقصصية للكبار والأطفال، وما يلاحظ أنه خالف النظام الذي اعتمده في الفضاء وبناء الشكل الخارجي للقصيدة حيث اعتمد في قصيدته بعنوان: "أغصان بلا ظلال" شكل الموشحات بأغصان فقط دون بقية العناصر الخاصة بالموشح، وكذا حديثه عن الشعراء القدماء: كالمتنبي وامرئ القيس والمعري، وتطرق أيضا إلى بعض الروايات: كريح الجنوب لعبد الحميد بن هذوقة، ورواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، كما يهدي ديوانه للعلامة النفري "محمد بن حسن النفري" الذي ولد بالعراق ويعد من أكبر المتصوفة ومن أشهر كتبه "المواقف والمخاطبات" من أشهر ما ذكر عنه: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"، كما أن الديوان يضم العديد من المواضيع الدينية وهذا ما يوضح تأثره بالعلامة النفري، ودون أن ينسى عنصر التناص الذي شكل الحيز الأكبر من نصوصه خاصة التناص الديني، فالتناص من أبرز ما يميز القصيدة العربية الحديثة إلى جانب الأسطورة أو الرمز ويدل على ثقافة الشاعر كما أنه يفسح المجال للمتلقي أثناء عملية تفكيك النص وتحليل شفراته، وظفه البشير بن عبد الرحمن في ديوانه بمختلف أنواعه الأدبية والدينية. فالتناص هو: «فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة...تصير منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده، مخول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها⁷. أي أنه عبارة عن تعالق نص مع نصوص أخرى أدمجت فيه وبكيفيات متنوعة.

من أمثلة ذلك مايلي:

ما تأويل رؤياي يا أدونيس

كنت رأيتك عندي

تقشر فاكهة للحنين

وتقرأ في زبر الأولين⁸.

تناص ديني مع قصة سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى: "قَالَ أَحْذَرُ مَا أَنَا بِأَعْيُنِ مَنْ أَرَانِي أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُهَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" الآية 36 فالسجينان أخبرا يوسف عليه السلام بمنامهما وطلبا منه

تفسيره لأنه من المحسنين في عبادته لله، أما الشاعر فطلب من الشاعر أدونيس تأويل رؤياه لأنه رأى فيه حنيناً للوطن وحال الأمان والاستقرار الذي كان يشهده من قبل، والوضع المأساوي الذي حل به الآن، فهذه مفارقة بين الشعر والقرآن الكريم تجعلنا نتأمل في قدر الشاعر الجزائري على خلق وابتكار صور شعرية تثير الدهشة في نفس المتلقي.

يا ذا النون

اشتعل رأس الماء شيبا

من الجوع ومن الخوف

فمن ينقذ الماء من سطوة الحوت⁹

تناص مع قصة سيدنا يونس عليه السلام "صاحب الحوت" وهو يونس بن متى عليه السلام أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله وخرج من بينهم غاضبا عليهم ضائقا صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس والتهمه الحوت في البحر، فنادى معترفا بظلمه لتركه الصبر على قومه قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وكذا في سورة مريم في قصة سيدنا زكريا: قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا" الآية 3 ص: 305 فبدل أن يقول الشعر {شعر الرأس} قال الماء وقصد بها الوطن يعني أصابته الحيرة والقلق والخوف والجوع في البلاد العربية فما السبيل لإنقاذها .

سأعود لكهفي

فقلبي باسط ذراعيه بالوصيد¹⁰. تناص مع قصة أهل الكهف لكن بصورة معكوسة، حيث قام بإبدال الكلب في سورة الكهف بالقلب، في صورة جريئة منه هذا ما خلق الدهشة والاستغراب بسبب يأسه من الأوضاع المزرية التي يتعرض لها وطنه ، نجد ذلك في قوله تعالى: "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا" الآية 18 .

طبعا هناك العديد من مواضع التناص في الديوان الأدبية والدينية والتاريخية لكن يجدر الذكر كذلك أن المقام لا يسمح لنا بذكرها جميعا، فاخترنا هذه الأمثلة لنوضح توجه بشير بن عبد الرحمان في ديوانه بخصوص الموضوعات المختلفة التي تطرق إليها، وهذه الأمثلة تعتبر غيث من فيض.

وكذلك فإن الديوان فيه نوع من الثنائيات الضدية حاضر وظاهر، البدء / الختام، اللذة/الجمر، ضيف/طيف، فالديوان فيه فجوات عظيمة بين عالمين في هذا الحيز الشعري وكأن الشاعر يعيش برزخا بين عالمين مختلفين كل الاختلاف.

3. 5. سيميائية الصورة الشعرية:

ومن بين العناصر السيميائية أيضا بعد العنوان والغلاف والألوان والموضوع نجد عنصر الصورة الشعرية الذي يعد من أهم العناصر السيميائية، في بعدها اللغوي وكذا غير اللغوي، اللغوي مع الباحث فرديناند دي سوسير الذي قسم العلامة إلى دال ومدلول خاصة بالنص وتندرج تحتها الصور الشعرية التي سنوردها في الأمثلة التطبيقية من البحث(العلامات اللغوية)، كما لا نغفل عن العلامات غير اللغوية مع الباحث بيرس، الذي تناول فيها شعرية الخطاب الشعري بالبحث عن المعنى في لفظ الجملة وعلاقتها بمعجمها الشعري، وكذا تركيبها الحامل لمعنى الإيحاء مستعينا بالشرح والتفسير والبرهنة والإيحاء. وقد تطرقنا إلى عنصر سيميائية الصورة الشعرية بغية تحليل عناصرها اللغوية تحليلا سيميائيا لاستخراج مكنوناتها وخباياها وأسرارها الكامنة والمتخفية تحت غطاء الجمالي والإبداعي.

تعتبر الصورة الشعرية من أهم العناصر الإبداعية في العصر الحديث، كما تعد من أهم مقومات القصيدة، حيث لا يمكن لأي شاعر التخلي عنها باعتبارها تحقق متعة للمتلقي، وديوان "دم البياض" للبشير بن عبد الرحمن يعج بالكثير من الصور الجمالية التي زادت جمالا ورونقا، خاصة بالجانب اللغوي ودلالاته المختلفة الخاصة بنصوصه وقصائده المختلفة والمبثوثة في ديوانه، يعرفها جابر عصفور قائلا: «هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياتها، فتتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها، ولكن الاهتمام بها يظل قائما مادام هناك شعراء يبدعون ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه

وإدراكه والحكم عليه ¹¹. فهي أساس الشعر وجوهره كما أنها محور اهتمامه مهما تغيرت مفاهيمها وتنوعت نظرياتها، وقد أولاها النقاد مكانة خاصة في تحليلهم للإبداع الأدبي مع مختلف المناهج كالأسلوبية والبنوية والمنهج النفسي والنقد النفسي وكذا المنهج السيميائي، خاصة فيما تعلق بعنصر الاستعارة التي أصبحت أداة جولة بين مختلف العلوم والمعارف المختلفة.

من أمثلتها في الديوان ما يلي:

1. رأيت نبضي...: استخدم الشاعر لفظة نبضي في غير محلها وهي استعارة تعبر عن الحزن والانكسار الذي ملأ قلب الشاعر بالمآسي والأحزان على همومه وهموم وطنه الجزائر وكذا فلسطين.

2. مر بي سؤال حافي القدمين: كناية عن الجوع والفقر الذي حل بالشعب الجزائري حيث شبه الشاعر السؤال بإنسان فقير رث الثياب مر به، دليل على ضيق وضنك العيش الذي يمر بهما.

3. اشتعل رأس الماء شيئا: المفارقة الجديدة في الجملة هي كلمة الماء وكذا الاشتعال فكيف للماء أن يشتعل وهو من يطفئه ويخمد نيرانه، [ففي قصة سيدنا زكريا دعا ربه وقال أنه كبر وضعف عظمه وانتشر الشيب في رأسه]، هنا حدثت المفارقة بكلمة الاشتعال الذي عادة ما يكون للحطب وليس للرأس، أما كلمة الماء هنا فيقصد بها الوطن والشعب، فالماء له علاقة بالوطن وبالقناعة الفكرية لديه وتجربة المشاعر الإنسانية تجاه وطنه وأمتة وشعبه فتشعر بالمقدار الكبير من المحبة التي يعيشها في داخله وفي مشاعره الداخلية التي ارتبطت بحبه للجزائر في صورة للتعبير عن مآسي ومعاناة شعبها كأنه ضاق ذرعا من المآسي التي تعاني منها فاشتعل وطنه شيئا وألما .

4. قلق بلون الماء: كناية عن القلق والحسرة والانزعاج وعدم الرضا والاستقرار قلق من ظلم الحكومة وجورها وقلق من مآل وحال الوطن يرى أن قلق النظام على شعبه وحاله قلق زائف

مثله مثل لون الماء، كأنه نبض خاوي كأنه سراب مر به، فقد استخدمه ليعبر عن كمية الوجد الذي يحمله في جعبته والألم الذي يذيب قلبه أو يمزق فؤاده.

5. دمك الآن كالماء: شبه الدماء بالماء وذكر أداة التشبيه وهي الكاف، وهو تشبيه مجمل حذف منه وجه الشبه، كأن هنا حب الوطن يمشي في عروقه. فكلمة الماء منذ القدم استعملت في المقدمة الطللية وكذا في الغزل والمدح لقدسيته، وارتبط أيضا بعاطفة الحب، ويعبر عن الرغبة في الوصال، كما يرمز للوطن.

6. أيها الليل قل لي: يتحدث هنا عن الحالة المزرية للفقراء، فقد قام باستتطاق الليل وهو شيء معنوي لا يتحدث فكيف بالشكوى إليه ومناجاته وهذا على سبيل الاستعارة المكنية.

7. أني ظل يفتش في دمه عن بقايا التراب: كناية عن الأمل، فهو يثبت للوهم والسراب أن هناك بعض الأمل في داخله يتقرب زوال المحن عن وطنه، فهو يبحث عن النور وسط العتمة والظلام التي يعيشها الوطن ويوما ما ستتجلي كل هذه الهموم والآلام وتتحلل العقول وتحسن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الجزائر.

8. من ينقذ الماء من سطوة الحوت: كناية عن الأمل والحسرة والتمني فالماء هنا هو {الشعب} وسطوة الحوت {ظلم الحكومة وجورها/النظام الفاسد} فهي كناية تعبر عن النظام الفاسد الذي تخلل مختلف القطاعات خاصة قطاع الإدارة والتعليم وغيرها ... واستنزف طاقتها وأهلكها وأهلك معها شعبها.

9. ألم النسيم: استعارة؛ حيث شبه النسيم بالإنسان الذي يتألم من أوجاع الحياة ومآسيها وترك قرينة دالة عليه وهي الألم. يقول :

هي قصة الإنسان

في أول السطر

سأبقى على الإنسان

في آخر السطر¹² .

10. هلا وجدت الماء يصل في دمي: كناية عن الأصالة والشموخ وحب الوطن، يعني هل وجدت حب الوطن يسري في خلايا جسدي وروحي وكياني، فلطالما كان الصهيل للخيول، للشجاعة والبطولة والأصالة والنخوة أيضا فقد لقي عناية واهتماما خاصا.

12. أنا السفين وأنت من قلبي الشراع: مجاز مرسل علاقته كلية حيث ذكر السفين وهو الكل وأورد الشراع وهو جزء من السفينة، فالشاعر هنا شبه حب وردة الرمال {الصحراء} بعلاقة السفينة بالشراع، فالشراع يعطي للسفينة القوة للتحرك بمقدار من الرفع والجبر من قبل البحارة، كذلك حب الصحراء يعطي للشاعر دافعية لاستكمال طريقه وتحفزه على الإبداع والقدرة على التغيير من خلال مناظرها الخلابة. كأنه يقول يا صحراء أنا السفينة التي تبخر وأنت الشراع الذي يزودني بالقوة لأبحر. في فلواتك. فوردة الرمال هي الصحراء، فقد تشكلت في الصحراء منذ القدم أشكال طبيعية فنية وساحرة أبرزها ورود الرمال، حيث لا يكاد يخلو بيت في صحراء الجزائر منها، فهي ليست كبقي الورود، فهي عبارة عن صخور تشكلت في الصحراء وغدت لوحات رائعة فهي زخرفة تزين الطبيعية.

4. خاتمة:

وفي ختام القول نستطيع أن نقول بأن المنهج السيميائي منهج يتسع صدره للكثير من العناصر الإبداعية ثقافية كانت، أو لغوية، أو تواصلية، سردية وغيرها من المفاهيم المختلفة، فهو منهج واسع الدلالة والمعرفة، يستقطب كل العلوم والمعارف إليه، في شقيه الاثنين اللغوي وكذا غير اللغوي، وقد ركزنا في بحثنا هذا على الشق اللغوي لما له من أهمية في البحث السيميائي المعاصر، خاصة فيما تعلق بعنصر سيميائية الصورة الشعرية وعناصرها المختلفة من كناية وتشبيه، خاصة فيما تعلق بالاستعارة التي أصبحت في البحوث الأخيرة علما لكل العلوم من علم الأعصاب، الذكاء الاصطناعي، اللسانيات العرفانية، الفلسفة، البلاغة الجديدة، النقد الحديث بمختلف اتجاهاته، والنقد المعاصر أيضا بمختلف مناهجه من النقد النفسي، إلى المنهج السيميائي، وصولا إلى نظرية التلقي والتأويل وغيرها من المعارف المختلفة.

وقد حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على أهم عناصر السيمياء من عنوان وغلاف وألوان، وكذا سيميائية الصورة الشعرية، بسبب مرونتهم وقدرتهم على التعامل مع كل النصوص الأدبية، خاصة فيما تعلق بالعتبات النصية.

_ تصنف موضوعات الديوان ضمن الشعر الاجتماعي والسياسي والديني والأدبي، كما أن قصائده عبارة عن مشاهد أو مقاطع متناسقة كالسيفساء تشكل لوحة فنية.

_ خرق الديوان الأجواء النصية الشعرية وتجاوزها من خلال العديد من العناصر التي خالفت الخطابات الشعرية المألوفة لدى القارئ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قدرة الشاعر الجزائري وموهبته الفذة، وقدرة المنهج السيميائي على تحليل وتفكيك النصوص الإبداعية. _ والديوان غني بالمواضيع المختلفة والمتنوعة ويستطيع أي قارئ دراسته من أوجه مختلفة، وفق المنهج الموضوعاتي، النفسي، الاجتماعي أو نظرية التلقي، فهو شامل لكل عناصر النقد الأدبي.

5. الهوامش:

¹ آراء عابد الجرمانى: اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، الرباط، دار الأمان، 2012م، ط:1، ص: 24

² المرجع نفسه، ص: 24.

³ المرجع نفسه، ص: 24.

⁴ آراء عابد الجرمانى، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، ص: 26

⁵ البشير بن عبد الرحمن، دم البياض، العلمة/ سطيف، منشورات الوطن، 2018م، ص: 31

⁶ ينظر: مختار عمر أحمد، اللون واللغة، القاهرة، مكتبة الموسوعة العامة، د.ت، ص: 87.

⁷ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1985م، ط: 1، ص: 121

⁸ الديوان، ص 14 .

⁹ المصدر نفسه، ص: 63 .

¹⁰ المصدر السابق، ص: 94.

¹¹ عصفور جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر،

1973م، ط: 1، ص: 08.

¹²الديوان، ص: 41.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. آراء عابد الجرمانى: اتجاهات النقد السيميائى للرواية العربية، الرباط، دار الأمان، 2012م، ط: 1.
2. البشير بن عبد الرحمن، دم البياض، العلمة/ سطيف، منشورات الوطن، 2018م
3. مختار عمر أحمد، اللون واللغة، القاهرة، مكتبة الموسوعة العامة، د.ت
4. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المغرب، المركز الثقافى العربى، 1985م، ط: 1
5. عصفور جابر، الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1973م، ط: 1